الخطاب الارشادي.. منهج ديني للدعوة وتبيان لأمور الأمة

تحقيق/ نورالدين القعاري

لمجالات الدعوة إلى الله طرق كثيرة ومتعددة وضعها القرآن الكريم لمنهج الدعوة إلى إليه وإلى سبيله وسائل تعين الداعية المسلم على أداء مهمته وتبليغ رسالته وقد أوجزها القرآن في قوله تعالى: ((أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)) والخطاب الارشادي يعد من النواحي العملية والتطبيقية في التوعية الواقعية التي تهتم واقعية تهتم بتناول مشكلات الناس الحياتية ومناقشتها، وتفنيد الشبهات التي تثار في كل زمان ومكان.

ومن الوسائل التي تساهم في عملية الخطاب الارشادي خطبة الجمعة التي تحتل مكانة كبيرة في نفوس المسلمين، لما لها الأثر البالغ في إصلاح نفسية المجتمع الارشادي المنتشر في كافة بقاع الأرض، ففيها يتحدث الخطيب عن تدريب النفس وصيانتها من المعاصي.

لكن يترتب على ذلك أن يكون الخطاب الارشادي له رسالته المميزة التي يجيدها الخطيب القدوة الذي يحسن أداء رسالة المخاطبة الدعوية لتكتمل الصورة ويتأثر به الناس لقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا ابن مسعود رضي الله عنه : (يا ابن مسعود لا تكن ممن يشدّد على الناس ويخفّف على نفسه) ، وهذا تأكيد لما قاله سبحانه وتعالى «لم تقولون ما لا تفعلون».

»الدين والحياة» سلط الضوء على خطبة الجُمعة وما يجب أن يتناوله الخطاب الارشادي من اهتمام وتطوير ومواكبة للأحداث الجارية وأن تبتعد عن التحيز والنزوح إلى طرف واحد.

الخطاب الدعوي

يبدي المرشد حسين الأهنومي اندهاشه من خطب بعض أئمة المساجد، حيث يقول: استغرب من عدم انفتاح الخطباء على القضايا والأزمات الحاصلة في مجتمعاتنا دون التنبيه لها والتحذير من الفتن من قبل الخطباء الذين تلقى على عاقتهم رسالة الخطاب الارشادي من خلال الدعوة إلى الله بإلقاء خطبة جمعة في مسجد أو إلقاء درس ديني فيه.

غرس الأخلاق

من جهته تحدث الأخ رأفت المعمري خريج بكالوريوس إعلام، عن الخطيب ودوره في غرس التأثير في الناس بقوله: يجب على الخطيب أن يقوم بزرع الثقة وأن يحرص على عدم فقدانها لأن الناس لا يجتمعون حوله ولا ينصتـون له ، فيكون مثله مثل التاجر الذي تسلب ثقة الناس منه فتخسر تجارته وهكذا الأمر بالنسبة للخطيب عندما لا يكون أهلا للثقة ينفضّ حوله الناس فتضيع رسالته .

يضيف الأخلاق باعث تفاضل وتمايز بهذه الميزة كل نهاية الأسبوع، بتقديم هذا الكم الهائل من المحاضرات أو الندوات للمواطن، ولكن شريعتنا الارشادي السمحة اهتمت بالفرد والجماعة في جميع مجالات الحياة.

وفي نفس السياق طالب الشبيبي بمراجعة واقع البعض من خُطبائنا وأئمة مساجِدُنا، والذين يحتاجون إلى وقفة صادقة من قِبل الجهات الرسمية ذات الصلة مثل وزارة الأوقاف والإرشاد، لما يُعانيه البعض من هؤلاء الأئمة، من تدن بمستوى تعليمهم، وضعفهم بمواكبة أحداث ومشاكل المُجتمع وقضاياه، وتركيزهم على الوعظ والإرشاد الديني، وانصرافهم عن الكثير من الظواهر الاجتماعية، وقضايا الجريمة والانحراف والتربية والسلوكيات الشاذة، إلى جانب انصرافهم عن معالجة قضايا وطنية وعالمية مهمة مثل الإرهاب، والفكر المنحرف وقضايا الإغراق والتضخم، والبطالة والفساد المالي والأخلاقي.

مصادر الخطاب الارشادي

الخطاب الارشادي يعتمد على الخطيب المثقف الذي يضفي على خطابه من خلال اعتماده على تهيئة مادته الفكرية لتصبح تلك المادة منبرا معرفيا يتوافق مع قواعد المنبر التي أسّس لها رسول هذه الأمة بأقواله وأفعاله ، من هنا فهو – أي الخطيب – يحتاج إلى مراجعة المصادر والوثائق والدراسات التي تغنيه في بحوثه لكي يصبح كلامه سنده قوياً وحجته واضحة ، مما يعضد نفوذه في نفوس الناس وعقولهم .

وأهمّ المصادر : القرآن الكريم باعتباره أساس الفهم والمعرفة والتشريع فهو مقياس الخطأ والصواب ، من خلاله تستمد العقيدة الارشادي رفعتها وشأنها في القوة والتأثير خاصة و الخطيب يعد الصوت المعبر عن الإسلام ومنهجه بما فيه خير الناس وصلاحهم . ومن المصادر الأخرى التي لا يمكن للخطيب إغفالها ، السنة النبوية الشريفة فهي مرجع عملي للمعارف الإسلامية بها ينتقل من المعارف الكلية التي أسسها القرآن الكريم إلى المعارف التفصيلية التوضيحية التي وردت في أقوال وأفعال وتقريرات الرسول الكريم .

كما ينبغي للخطيب أن يتخذ من ثروة وذخيرة الفقه والأصول سلاحا لتجاوز الكثير من العقبات التي يمكن أن يصطدم بها في أداء رسالته الخطابية ، هذا فضلا عن معارف أخرى من شأنها أن ترفع من مقامه وتشكّل له مقياس النجاح الذي ينشده في مهمته ، وهي كتب السير والتاريخ المتطابق مع القيم والمبادئ والأدب والفن الإسلامي .

الأسلوب ومستوى العامية لدى المتلقي

كما أن الأسلوب الذي يجب مراعاته لدى الخطاب الارشادي يعتبر حلقة الوصل بينه وبين الجمهور فمثله مثل الحبل الذي يرتبط بمشاعر وأحاسيس الناس ، فالبارع في الخطابة هو المؤثر فيهم وهذا التأثير يتأتى من خلال نية الخطيب بأن لا يدع الشيطان يتسرّب إلى قلبه ، ويبني على قاعدة مفادها كسب الجمهور بالأفعال قبل الأقوال لبناء منبر لخدمة منهج الإسلام السمح الحنيف ، ومن خلال معرفة دوره كقائد للجماهير وإمام موجه لهم نائب عن السلطان في تحمل أعباء واجبات الرسالة المنبرية وهذا يقتضي أسلوبا ناجحا في التأثير وإلى قاعدة ثقافية متوازنة لتعميق الدور الفاعل حتى يصبح قادرا على أداء مهمته الكامنة في الإرشاد والوعي وبهذا يضمن للمخاطبين ممارسة دينية تحيط بجوانب تثقيفية وجوانب اجتماعية لها أثرها الفاعل في خدمة وبناء عقولهم البناء السليم القائم على الثوابت الدينية الراسخة ، فالرسول عليه وآله الصلاة والسلام كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتدّ غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم.

ينبغي أن يتحلّى بها الخطيب في جميع أحواله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، والأخلاق تشمل أمورا كثيرة تنتج آثارا محمودة في المجتمع ، كالصدق وأداء الأمانة والحياء ولين الكلام ومراقبة النفس في السر والعلن .

الأدلة والبراهين

أما إمام جامع بلال الشيخ سمير النظاري: فيقول يجب على الخطيب أن يستشهد بالأدلة والبراهين ويضرب أروع الأمثال في تجسيد قضيته التي يتحدث عنها لأن الإنسان بطبيعته تراه يتأثر، لكن سرعان ما يرجع إلى ما كان عليه، فعلى الخطيب هنا أن يستخدم أسلوب الترغيب والتهذيب وايضا الاختصار والإيجاز وكذلك كلما دعمت كلامك بدليل كان أفضل وياحبذا قصة مؤثرة تنمي روح الهمة في تطبيق الخطبة على أرض الواقع.

دورات تأهيل

من جهته قال الأخ طلال الشبيبي باحث أكاديمي: أن خطبة الجمعة هي ميزة مجانية فرضتها الشريعة الارشادي ، حيث لا تحظى مؤسسة أو قطاع تجاري

في رحاب التابعين

الخليل بن أحمد الفراهيدي.. عبقري اللغة

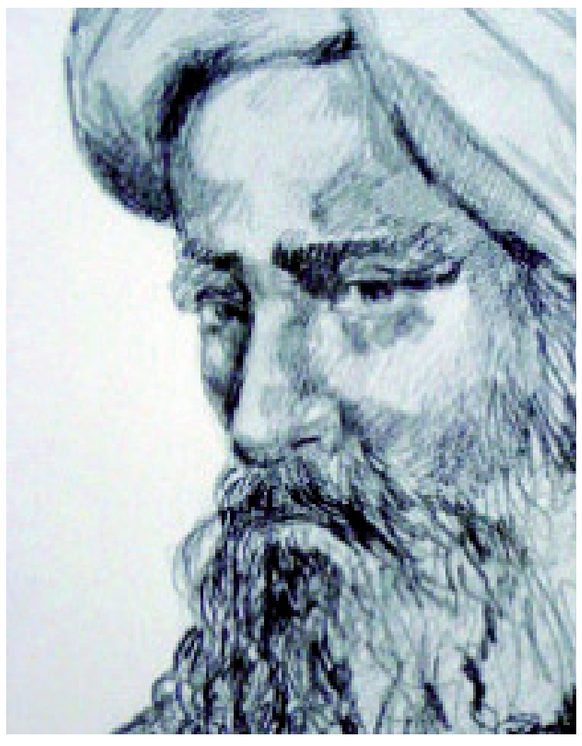

● شب على حب العلم، درس الفقه واللغة على أبي أيوب السجستاني، كما تلقى العلم عن عاصم الأحول والعوام بن حوشب، وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن محمد الثقفي وغيرهم . ثم ساح في بوادي الجزيرة العربية إلى أن ملأ جعبته، ثم رجع إلى مسقط رأسه البصرة . واعتكف في داره دائبا على العلم ليله ونهاره، هائما بلذاته الروحية، فنبغ في العربية وبلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو .

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبدالرحمن من أئمة اللغة والأدب، ولد بالبصرة سنة ١٠٠ه وتوفي سنة ١٧٠ه .

نبغ هذا الموسوعي العربي الأول في علوم العربية، وكان سيد أهل الأدب في تصحيح القياس واستخراج النحو وتعليله فكان هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو المعروف باسم سيبويه الذي اعترف في أكثر فصول كتابه بأنه تلقاه عنه وتعلمه عليه . وقد ذهب في شبابه إلى بلاد الروم مجاهدا للدفاع عن ثغور الإسلام، وأحب علماء العربية والنحو، وأمضى ثلاث سنوات يجلس إليهم فيسمع منهم، ولا يشترك في الجدل والمناظرة، وعاصر شيخ العربية أبا عمرو بن العلاء وحضر مجلسه . وكان قد مضى على أبي عمرو أكثر من خمسين سنة يدرس اللغة، وقد أغراه بعض أصحابه بأن يجادله، وينتصر عليه، فيتحدث عنه الناس ويرتفع اسمه، ولكنه رفض ذلك وآثر أن يظل منه بمنزلة التلميذ مهما بلغ به العلم .

علم العروض

ويقول الدكتور عبدالفتاح غنيمة في "موسوعة أعلام الفكر الإسلامي" من أبرز الأمور التي تحسب للفراهيدي تفتق ذهنه واستنباطه علم العروض الذي استخرج منه خمسة عشر بحرا وزاد عليها الأخفش بحرا سماه المتدارك، وعلى إثر ذلك استطاع ضبط أوزان هذه البحور، مستعينا بالموسيقا التي ألف كتابا فيها . ومن أطرف ما روي عنه أنه كان يقضي الساعات الطوال ذاهلاً عن نفسه، يرفع أصابعه ويحركها لضبط هذه الأوزان وتنسيقها، وكان له ابن متخلف عقلياً، فدخل عليه وهو في هذه الحال فظنه جن، فخاطبه الخليل بقوله:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني

أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني

وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

إن الخليل بن أحمد بذهنه المتأهب والمبدع ابتكر طريقة تدوين أول قاموس عربي لضبط اللغة وحصرها، فجمع ما كان معروفا في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها .

وإذا تناولنا الوجه الآخر لشخصية الخليل نجد أن حياته لم تكن صفوا، فقد كان رقيق الحال يملأ نفسه ورع عجيب، فهو لا يقبل العطاء ولا يريد أن يكون خادما للملوك والأمراء حتى قالوا: "إنه قام في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال"، وآية خلقه أنه كان يستمع في حلقات العلم من دون أن يشارك في الجدل . وعاش الخليل بن أحمد، زاهداً فقيراً .

ذهن متوقد

وذكر ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان": أن الخليل اجتمع وعبدالله بن المقفع ليلة يتحدثان حتى الفجر، فلما افترقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟فقال: رأيت رجلا علمه أكثر من عقله .وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه .

ومن دلائل توقد ذهن الخليل وفنون ابتكاره أنه زاد في الشطرنج قطعة سماها جملا استعملها الناس زمنا، واخترع نوعا من الحساب تمضى به الجارية إلى البائع، فلا يمكنه أن يظلمها، ويقال: إن الخليل كثيرا ما كان ينشد بيتا للأخطل وهو:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد

ذخراً يكون كصالح الأعمال

ثم لم يلبث الخليل أن هتف به هاتف الحج، فسافر إلى مكة، وقصد منها إلى البصرة التي استقبلته مكرمة إياه حيث أقام بقية حياته .

وفي تلك الفترة التقى بتلميذه "سيبويه" الذي كان يكتب كل ما يقال، والذي كثر تردده على مجالس الخليل حتى أحبه، قال له عبارته الخالدة: "مرحبا بزائر لا يمل" .

ثم جاء ختام حياته متسقاً مع طبيعته العامة الحاذقة المندفعة إلى البحث وإلى تجميع الأصول،ذلك أنه رأى الجارية تخاصم البائع وهي تطالبه بدراهم أخذها منها بمغالطته إياها، فاستخدم الحساب الذي ابتدعه لكي تمضي به الجارية إلى البائع فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك، فاصطدم رأسه بالسارية الضخمة فوقع وأحدث صوتاً شديداً وانقلب على ظهره وتدحرج إلى الأرض مضرجا بالدماء .

وكانت هذه نهاية الرأس المفكر الذي أخرج للناس علماً وفكراً سيظل أثره باقياً ما بقيت العربية، اجتمع الناس حوله فقال لهم عبارته الأخيرة: "لا تبكوا، فوالله ما فعلت فعلاً أخاف على نفسي منه، وما علمت أني كذبت متعمدا قط، وأرجو أن يغفر لي التأول" .